الرواية الصهيونية اعلاميًا..
من الحلم الصهيوني .. الى الحرب التوسعية !

بقلم
احمد محمد عطية

بدأت الحركة الصهيونية برواية هرتزل « الارض القديمة الجديدة » . فقبل ان يصدر ثيودور هرتزل ـ مؤسس الدعوة الصهيونية والاب الروحي لاسرائيل ـ كتابه الهام « الدولة اليهودية » في عام ١٨٩٦ والذي اصبح بمثابة الاساس النظري للدعوة الصهيونية المعلنة رسميا في المؤتمر الصهيوني الاول في بال عام ١٨٩٧ ـ كان هرتزل قد بث دعوته في روايته « الارض القديمة الجديدة » . كما نص في البند الرابع من برنامجه المعلن في ٥ يونيو ١٨٩٧ على أهمية الاعلام والدعاية في سبيل انشاء دولة لليهود « دعاية اكثر واوسع . تضحك من أوروبا، وتلعنها ، وباختصار تتكلم عنها . »

وفي يومياته كتب هرتزل « اختار اناسا فقراء في ثياب مهلهلة ومن الشوارع البسهم الاثواب العظيمة واجعلهم يقدمون للعالم رواية جميلة من تأليفي . « وكتب ايضا » ينبغي ان نتعاطى السياسة حتى في الزواج . » (يوميات هرتزل ـ ترجمة هلدا صايغ ـ ص ٣٣٧ و ٤٧٩) ولعل هذا يدلنا على الاهمية المزدوجة للاعلام الصهيوني وللرواية الصهيونية .

ان خطورة الرواية الصهيونية تتمثل في انها كانت بمثابة التخطيط الكامل والارهاصات الحقيقية للدعوة الصهيونية وللحلم الصهيوني العنصري . هذه الدعوة الفنية المتخذة شكل الرواية لم تكن الا غلافا للدعوة الاكبر ، الدعوة الصهيونية . بل ان غسان كنفاني يذهب في كتابه ـ في الادب الصهيوني ـ الى حد اعتبار الصهيونية السياسية نتيجة لارهاصات ادبية صهيونية مبكرة ما لبثت ان اندفعت بعد ولادة الصهيونية السياسية ، لتصير جزءا اساسيا منها ، تعمل بانضباط تحت شعاراتها وبتوجيه منها ولخدمة اهداف محددة لها سلفا . ويقيّم غسان كنفاني الادب الصهيوني بانه هو الذي عمل على غسل دماغ العالم وتهيئته للاعلام الصهيوني والدعوة الصهيونية والاكاذيب الصهيونية .

ولعل اخطر دور للرواية الصهيونية هو نجاحها في التسلل الى عقل الغرب وفكره حتى لتحتوي التعليقات السياسية الغربية على جمل كاملة منقولة بنصها من الرواية الصهيونية . (في الادب الصهيوني ـ دراسات فلسطينية (٢٢) ص ١٠ و ١٣ و ١٥٠ و ١٥١)

* * *

وسنقول لماذا الرواية دون غيرها من الفنون الاخرى ، لان الرواية هي فن الفنون الذي يسع كل الفنون ، وهي فن الحياة باوسع معانيها، وهي اكثر الكتب انتشارا وحظوة لدى القراء ، وهي ايضا اكثرها قابلية للترجمة الى صور في السينما والتليفزيون ، ومن ثم فهي اوسع الفنون انتشارا واكثرها نفاذا الى قلوب وعقول الناس في كل مكان .

والرواية ، بطبيعة الحال ، جزء من كل بالنسبة للادب الصهيوني ووظيفته الاعلامية ، ولكن الرواية في رأيي هي الفرع الهام بين فروع الادب الصهيوني الاخرى . حقا لقد كان الشعر العبري قديما هو الداعي الاول للصهيونية حتى بروز الفكرة الصهيونية في نهاية القرن الماضي ، الا أن الرواية لم تلبث أن استأثرت بالنصيب الاكبر بين فنون الادب الصهيوني الاخرى ، وذلك نظرا لانها فن حديث نسبيا بالقياس الى قدم الشعر .

ولعل ما يدلنا على اهمية الدور الاعلامي الذي تلعبه الرواية الصهيونية لصالح الدعوة الصهيونية هو تتابع الروايات الصهيونية منذ صدر تيودور هرتزل الذي بدأ حياته محررا ادبيا ـ فكرته الصهيونية بروايته « الارض القديمة الجديدة » التي اوضحت تفاصيل الدعوة قبل اعلانها في مؤتمر بال عام ١٨٩٧ .

اما « فلاديمير جابوتنسكي » الرجل الثاني بعد هرتزل في الحركة الصهيونية ومؤسس الكتيبة اليهودية الاولى التابعة للجيش البريطاني في الحرب العالمية الاولى ، والاب الروحي لعصابة الارجون تزفاى لئومى » الارهابية ، فقد كان هذا الرجل الصهيوني الخطير ـ واليهودي الروسي ـ قصصيا موهوبا ، كما وصفه عدوه وايزمان اول رئيس اسرائيلي ، وكانت قصصه تحظى باهتمام مكسيم جوركي ولاون تولستوي ، وقد فعلت قصص جابوتنسكي واشعاره وانا شيده ومقالاته ، فعل السحر في نشر الدعوة الصهيونية « وجعلت الشبان مستعدين للتضحية بحياتهم عند دعوته » كما وصفه المؤرخ الصهيوني بن هكت . (الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي ـ بسام أبو غزالة ـ دراسات فلسطينية ص ١٤) .

وفي عام ١٨٣٣ كتب دزرائيلي السياسي البريطاني اليهودي رواية « دافيد آلروى » قبل تسلمه زمام الحكم البريطاني كرئيس للوزارة البريطانية . وقد بذر دزرائيلي في روايته هذه بذور العنصرية الصهيونية واستعلاء البطل الصهيوني المتميز والمتفوق والرافض للاندماج مع الشعوب الاخرى لانه وحده من شعب الله المختار .

ولئن خلت رواية دزرائيلي من حلم الارض الموعودة في فلسطين فقد جاءت رواية جورج اليوت « دانييل ديروندا » من بعده لتضيف هذه اللمسة الاخيرة في تجسيد الرواية الصهيونية للحلم الصهيوني والايديولوجية الصهيونية . وقد استغلت الحركة الصهيونية هذه

الرواية الصادرة عام ١٨٨٠ والتي عاصرت البدايات الاولى للصهيونية وترجمت الرواية الى العبرية ونشرت على نطاق واسع بين اليهود لانها تقوي النزعة العنصرية الصهيونية وتحطم فكرة الاندماج اليهودي في شعوب العالم . وقد اعتبرت الرواية انجيلا صهيونيا ، وعاملا هاما في تحريك الاستراتيجية الصهيونية الجديدة . وزيادة في التقدير للرواية ومؤلفتها اهتمت اسرائيل في الايام الاولى لقيامها باطلاق اسم « جورج اليوت » على احد الشوارع الهامة في تل ابيب .

وفي الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل عن العام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ اشادت الحكومة الاسرائيلية برواية جورج اليوت « دانييل ديروندا » (٦٠٠ صفحة قطع كبير) لانها ثبتت اسطورة بعث اسرائيل : « ان القواعد الاكثر اهمية التي صنعت اسطورة اليهود الانجليز كانت بالتسلسل التاريخي الدراسات الدينية ـ الاقتصاد ـ الرومانتيكية ـ الواقعية . والى هذه القواعد الاربع اضافت « دانييل ديرومونداً » قاعدة خامسة هي البطولية ، وفي ثلاثة ارباع القرن التي مضت منذ ظهور هذه الرواية تقدمت هذه القاعدة اكثر فاكثر الى الامام .. لقد أرست هذم الرواية اسطورة بعث اسرائيل » .

وكان الروائي كافكا صهيونيا ـ كما كتب الكاتب الصهيوني ماكس برود صديقه ومؤرخه المقيم حاليا في تل ابيب في كتابه « فرانز كافكا معتقده وآراؤه » ـ وقد أكد برود « ان كافكا اصبح صهيونيا ، مدفوعا بقواه الروحية السرية . وقد سعى لتعلم اللغة العبرية ، وتوجد في مخلفاته مجموعة من الدفاتر المليئة بتمارين اللغة العبرية .. وحتى في السنوات الاخيرة من حياته كان يذهب للاستماع الى محاضرات عن التلمود في الكلية اليهودية ببرلين . وقد تطورت معرفته الى حد انه كان يستطيع قراءة رواية من تاليف « برنر » في نصها الاصلي، كان يحدثني في كثير من الاحيان عن رغبته في الهجرة الى ارض اسرائيل ليعيش هناك ويكسب عيشه بأداء عمل يدوي بسيط . « وقد انتهى أنور الفساني ـ الكاتب العربي المقيم في تشيكوسلوفاكيا ـ في مقاله الهام « هل كان كافكا صهيونيا » (الآداب مارس ١٩٧١) الى ادانة كافكا لانه لم يكن عاجزا عن تصور المدلول الحقيقي للدعوة الصهيونية للسيطرة على ارض فلسطين واقامة دولة لليهود عليها وما يمكن ان يجلبه هذا السعي من كوارث لسكان فلسطين نفسها .

وتكتمل حلقات الدور الاعلامي للرواية الصهيونية بفوز الروائي « شاموئيل يوسف عجنون » بجائزة نوبل (مناصفة مع كاتبه يهودية اخرى عام ١٩٦٦) لان كتاباته « تمثل رسالة شعب اسرائيل الى عصرنا وتكافح كفاحا رائعا من اجل تقديم التراث الثقافي للشعب اليهودي عن طريق الكلمة المكتوبة ، وايضا بسبب فنه القصصي المتميز بعمق استيحاء موضوعات من حياة الشعب اليهودي . »

كما اهتمت لجنة جائزة نوبل بتفوقه وامتيازه لانه يكتب بلغة عبرية جميلة .

كما اشادت اللجنة « بشهرة عجنون ، كأول كاتب ، يخترق الحواجز اللغوية » . وعجنون هذا هو الذي تدعو بطلته « تاهيلا » هذا الدعاء التوسعي « انني ادعو الله ان يأتي اليوم الذي تتوسع فيه حدود أورشليم حتى تصل الى دمشق ، وفي كل الاتجاهات » .

ان فوز روائي اسرائيلي بجائزة نوبل يدين الجائزة حقا ويكشف عن وجهها الاستعماري وتأييدها للصهيونية ذات الاتجاهات العنصرية ، ولكن كل هذا لا يخفي الوجه الاخر للمسألة وهو ان الرواية الصهيونية استطاعت ان تتسلل الى اكبر جائزة ادبية عالمية وان تفرض الرؤيا الصهيونية على لجنة الجائزة وان تحقق نصرا اعلاميا على المستوى العالمي .

ولعل اهمية الرواية الصهيونية من وجهة النظر الاعلامية تثبت من معرفة موقف النقاد اليهود من روايات يوسف عجنون . فقد أجمع النقاد اليهود على ان روايات عجنون لا تتمتع بأي قيمة ادبية فيما عدا اصراره على كتابتها باللغة العبرية . أما من الناحية الدعائية والاعلامية فقد اهتم النقاد الدعائيون بابراز اعمال عجنون من وجهة نظر اعلامية. فروايات عجنون اعلامية تماما من وجهة النظر الصهيونية ، فهو كواحد من أبناء بولندا (لـ ١٨٨٨) ومهاجريها الاول الى فلسطين (١٩٠٨) ، تعبر رواياته عن حياة اليهود في بولندا وعن دوافع هجرتهم الى فلسطين ، وعن مبررات الهجرة ووضعها في اطار أسطوري جذاب ، ونشر أحلام التوسع الصهيونية ، وايضا عن حب التراث الديني كقومية وتكرار الحلم الصهيوني بارض فلسطين معارضا فكرة الاندماج بالشعوب.

ولعل هذا كله يؤكد اهمية الدور الاعلامي الذي تلعبه الرواية الصهيونية لصالح الدعوة الصهيونية . وحتى نعرف مدى التطابق الاعلامي بين الرواية الصهيونية والاعلام الصهيوني علينا ان نحدد بايجاز شديد ما هي اهداف الاعلام الصهيوني . حتى يمكننا قياس خطوات الرواية الصهيونية ومدى انضباطها مع المخطط الاعلامي للعدو الصهيوني .

* * *

الاعلام الاسرائيلي متلازم ومتوافق مع السياسة الاسرائيلية وهو موجه الى الخارج بهدف سحب الانصار والحلفاء وموجه الى العرب بهدف تيئيسهم من قدراتهم على ازالة اسرائيل وتثبيطهم واحباط كل مقاومة عربية متوقعة لاسرائيل نتيجة لفرض الواقع الاسرائيلي واستقراره العالمي اجتلابا لمزيد من الاستقرار في المجتمع الدولي . وهو موجه أيضا الى اليهود خارج اسرائيل لتجديد حلم ارض اسرائيل وجنة اسرائيل ودفعهم الى الهجرة ، العمود الاساسي للكيان التوسعي الاسرائيلي ، والتأكيد على حوادث اضطهاد اليهود السابقة لمنعهم من الاندماج في المجتمعات المحلية والدولية .

الاعلام الاسرائيلي جزء لا يتجزأ من الدعوة الصهيونية والاستراتيجية الاسرائيلية ، وجانب اساسي من الخطة الاسرائيلية التوسعية للهجرة والاستيطان وزيادة الرقعة المحتلة وفرض الوجود الاسرائيلي على العرب والعالم .

وقد صاحب الاعلام الصهيوني بداية الدعوة الصهيونية المنظمة بمؤتمر بال عام ١٨٩٧ ووجه الى اليهودية العالمية لجذبها الى الدعوة الصهيونية واحلامها ، وتوجه الى الراي العام العالمي غير اليهودي لضمان تاييده ومساندته لفكرة الوطن القومي في فلسطين .

وبعد اعلان قيام اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ تغيرت الاهداف السياسية والاعلامية الى هذه الاهداف التي يلخصها الدكتور منذر عنتباوي في كتابه « أضواء على الاعلام الاسرائيلي » ـ في النقاط التالية :

١ ـ استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين تبريرا لوجودها من ناحية واستزادة لعدد سكانها من ناحية ثانية . ٢ ـ توسيع نطاقها الاقليمي بحيث يطابق ما أمكن حدود الدولة الاسرائيلية « الحلم » والاستيلاء على مدينة القدس وتكريسها عاصمة رسمية وفعلية . ٣ ـ تطويرها بحيث تصبح « الدولة الكبرى » في المنطقة : اي الدولة « الاقوى » اقتصاديا وعسكريا . ٤ ـ ايجاد مجال حيوي تستخدم فيه امكانياتها وطاقاتها الانتاجية والفنية والعلمية ، الحالية والمستقبلة. ٥ ـ فرض وجودها على العرب كدولة قائمة لا تقهر ولا تزول .

تلك هي المبادىء النظرية العامة للاعلام الاسرائيلي ويتفرع عنها مبادىء تطبيقية وشروح تختلف من قارة الى اخرى ومن دولة الى أخرى . غير ان ما يهمنا في مجال بحثنا هو مدى التطابق بين الرواية الصهيونية والاعلام الاسرائيلي وكلاهما موجه الى أوربا الغربية وأمريكا والى اليهودية العالمية المتمركزة في هاتين القارتين . وهذه هي المبادىء التفصيلية للاعلام الاسرائيلي المتوافقة مع السياسة الاسرائيلية العامة :

١ ـ تقديم اسرائيل كنتاج للفكر والجهد والمهارة النابعة من الحضارة الغربية . ٢ ـ التأكيد على « المعجزات » التي حققتها

اسرائيل في « الصحراء » التي كان اسمها فلسطين والتي اهملها « الغزاة العرب » ودمروا معالم الحياة فيها . (؟!) ٣ ـ التذكير المتواصل بأن اسرائيل هي تحقيق لنبوءة دينية وردت في العهد القديم. ٤ ـ التذكير المتواصل بفظائع النازية وغيرها من مظاهر الاضطهاد الاوروبي ، عبر التاريخ ، لليهود ، وان انشاءها كان يشكل بالتالي الحل التاريخي للمشكلة اليهودية . ٥ ـ تصوير معاداة العرب لها على اساس انه نتاج ديني وعنصري يزيد من حدته علاقاتها القوية مع العالم الغربي . ٦ ـ تصويرها مهددة بصفة مستمرة من جيرانها العرب وخاصة المصريين الذين يحلمون في تدميرها وقذف سكانها ، « الاوروبيين » اصلا ، الى البحر . ٧ ـ التأكيد على حاجتها للاعتماد على القارتين الاوروبية والامريكية ، « مركزي الثقافة والعلم » من اجل تحقيق متطلبات امنها . ٨ ـ التأكيد على ان من شان توطيد علاقاتها بالعالم الافرو آسيوي تحقيق الفائدة ليس فقط لكل من اسرائيل وهذا العالم ولكن لقارتي اوروبا واميركا ايضا . (اضواء على الاعلام الاسرائيلي ـ الدكتور منذر هنتباوى ـ دراسات فلسطينية (٣١) ص (٢ و ٣٥ و ٣٦) .

ويصف عقيل هاشم ، الكاتب الفلسطيني المقيم في أوروبا ـ في كتابه اسرائيل في اوروبا الغربية ـ كيف شحذت الروايات والقصص الاسرائيلية مخيلة الانسان الاوروبي وكيف تغلغلت الى وجدانه وشكلت وعيه ولا وعيه عن طريق خلق الاساطير حول كيفية تخطي اليهود المهاجرين للعقبات التي تضعها بريطانيا في سبيل وصولهم الى ارض فلسطين وكيف استطاع هؤلاء اليهود المشردون العودة الى أرض فلسطين وكيف استطاع هؤلاء اليهود المشردون العودة الى ارض الوطن بمعجزات. فمن قصص الرجال الذين تفننوا في التحايل على السلطات الاوروبية وتزوير جوازات المرور وهويات السفر الى قصص سفن المهاجرين التي تغير اشكالها والوانها للتهرب من حصار الاسطول البريطاني ، ومن تغيير هويات سيارات النقل التابعة للجيوش الاوروبية الى اصطناع القصص الخيالية عن معارك اليهود المهاجرين (اللاجئين) عند هبوطهم خلسة على الشاطىء الفلسطيني ، مع اضفاء القدرات الخارقة على اليهودي المهاجر الذي يتخطى كل العقبات في سبيل الوصول الى ارض فلسطين . ويذكر عقيل هاشم ان هذه المؤلفات استهدفت اقناع القارىء بما لا يقبل الشك ، بان هؤلاء اليهود العائدين الى وطنهم فيهم من السحر وفيهم من قوة الجلد والعزيمة والاقدام وفيهم من الوفاء للسلم والبناء والمحبة بفعل ما لاقوه من رعب واضطهاد وعذاب ، ما يكفي لتمكينهم من تحويل فلسطين وربما الاقطار المحيطة بها الى جنة ارضية . في هذه المؤلفات كان رجال المنظمات الصهيونية السرية ينجحون حتى في اقناع كبار النازيين قبيل نشوب الحرب ، ومنهم ايخمان ، بمنح اليهود العازمين على مغادرة النمسا والمانيا جوازات سفر وتاشيرات خروج وبتحويل معسكرات اليهود الى مزارع يتدربون فيها على الاعمال الزراعية والعسكرية مقابل رشوات ضخمة جدا . » (اسرائيل في اوروبة الغربية ـ دراسات فلسطينية (٢٣) ص ٣٢) .

ويتم ترويج هذه الروايات والقصص على نطاق واسع وبشكل منتظم خلال السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية وحتى الان ، من خلال سيطرة الصهيونية على اجهزة النشر والاعلام كالصحف ووكالات الانباء وشركات السينما والراديو والتليفزيون ، وايضا على رجال الفن والفكر والاعلام . ولن نتحدث هنا عن الوسائل والاساليب التي يتبعها الاعلام الصهيوني في بث دعاويه من خلال كل هذه الاجهزة ، فهذا على اهميته موضوع آخر ، وما يهمنا هنا دور الرواية الاسرائيلية في الاعلام الاسرائيلي . ويدخل في هذا المجال الفائدة التي تجنيها الرواية الاسرائيلية من السيطرة على تمثيليات وافلام وبرامج التليفزيون والسينما والاذاعة وابواب الصحف . فبالاضافة الى الافلام الروائية الملونة التي تزيف التاريخ تحت اسم افلام تاريخية ، لا يخلو برنامج ادبي او باب لعرض الكتب من ذكر الروايات الاسرائيلية ومناقشتها وتصويرها ونقلها الى جمهور المتلقين للعمل على غسل مخ الرجل الاوروبي والامريكي لصالح الاعلام الاسرائيلي والدعوة الصهيونية .

* * *

ولعل اكبر نموذج يجسد استفادة الرواية الاسرائيلية من السيطرة الصهيونية على أجهزة الفن والاعلام الغربية وافادتها الحركة الصهيونية هو نموذج الرواية الصهيونية الشهيرة « اكسودس » للروائي الصهيوني الامريكي « ليون أوريس » . لقد طبعت من هذه الرواية عشرات الملايين من النسخ وغزت واجهات المكتبات في كافة انحاء اوروبا الغربية وامريكا ، واحتلت الكتابات عنها اعمدة الصحف لاشهر طويلة ، وغزت مكتبات البيوت باعداد فائقة النظير . ثم جرى تحويل الرواية الى فيلم سينمائي طويل وملون . أما الرواية نفسها فهي تقدم باسلوب الفيلم التسجيلي تاريخ الصهيونية ابتداء من هرتزل حتى اليوم من وجهة نظر صهيونية . وبالطبع تحتشد الرواية بتزييفات تاريخية متعمدة لتشويه العرب مع اهمال عرب فلسطين واظهارهم في صورة الاقلية المتخلفة، ومقارنة موقف اليهود المتعاون مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية بموقف العرب الذين اعلنوا الحرب مع الحلفاء في اخر لحظاتها ليفوزوا بمقاعدهم في الامم المتحدة . ثم استثمر الكاتب قصة سفينة المهاجرين اليهود « اكسودس » التي اعطت الرواية عنوانها . واضفت الرواية اسطورة البطولة على السفينة لمواجهتها لسفن الاسطول البريطاني مجتمعة . وفي الوجه المقابل اعفت الرواية العصابات الصهيونية من مسئولية الارهاب الوحشي للفلسطينيين لاجبارهم على الفرار وارجعت الرواية ـ كذبا ـ المسئولية على الدول العربية التي حضت الفلسطينيين على الرحيل . اما بطل رواية « اكسودس » فهو نموذج للبطل الصهيوني المتفوق في الروايات الصهيونية ، البطل العنصري المعصوم من الخطأ في كل مجالات الحياة . وقد ساعد رواج الرواية المطبوعة على رواج الفيلم الروائي وانتشار هذه الاكاذيب كالمخدر في قلب وعقل وجدان المواطن الاوروبي والاميركي .

لقد وضع النقاد اليهود رواية « اكسودس » في وضع اهم من كتابات هرتزل وويزمان وبن جوريون ، لانها غزت العقول الاميركية والاوروبية اكثر مما فعلته هذه الكتابات .

ويكشف الكاتب والروائي الفلسطيني غسان كنفاني « في دراسته الممتازة « في الادب الصهيوني » عن الوجه الاعلامي والدعائي لرواية جورج اليوت « دانييل ديروندا » ولبطلها الصهيوني مردخاي قائلا : ان وجهة نظر مردخاي هذا ليست وليدة طبيعية لتسلسل الاحداث ولكنها اعلانات ومحاضرات مباشرة ، وكانت هذه المحاضرات بالذات سبب انتشار الرواية في الاوساط الصهيونية لانها كانت ردودا مباشرة على اجتهادات مطروحة ودفاعا اعلاميا عن اجتهادات مضادة، ويمضي مردخاي ، خلال عشرات من الصفحات، يعرض وجهة نظره ضمن تلك الخطابات ليمثل الوجه الاعلامي والدعاوى للاتجاه الذي كان يريد تتويج «التفوق اليهودي» بدولة قومية .(ص٥٦) ولا يهمنا في مقالنا هذا متابعة اقوال غسان كنفاني عن عيوب البناء الروائي والشخصيات والاحداث في الرواية ، لان هذا خارج عن موضوعنا. ولكن ما يهمنا هو ان رواية جورج اليوت نالت كل هذاالترحيب والتكريم لان مؤلفتها اكدت في وقت مبكر وجهة النظر الصهيونية العنصرية .

هذا هو مردخاي بطل رواية جورج اليوت ، الصهيوني يصرح:«انا أقول بان تاثير تفرقنا لن يكتمل ، ولن يصل الى ذروة تحوله دون ان يتخذ جنسنا مرة اخرى شخصية قومية .. هذا بالضبط هو التحقيق الوحيد للامانة الدينية التي جعلت منا شعبا كانت حياته نصف وحي العالم .. ما الذي يهمني من تمزقنا وتشتتنا ؟ ان الجوهر ما زال قائما : دع الرجال الاغنياء ، دع كبار التجار ، دع المثقفين في كل المعارف والخبراء في كل الفنون ، الخطباء والسياسيين

الاكفاء الذين يحملون في عروقهم الدم العبري ، ودمائة العبقرية العبرية ، دعهم يقولون : سوفننشىء مستوى عاليا ، سوف نتحد في عمل قاس ولكن مجيد ، مثل موسى وعزرا .. لديهم المال الكافي ليستردوا الارض من محتليها المنهارين ، ولديهم مهارة رجال الدولة ليبتكروا ، ولديهم لسان المتكلم ليقنعوا .. الا يوجد فيما بيننا نبي او شاعر يجعل آذان اوروبا المسيحية تقرع بالعار لما يلحق بالكفاح المسيحي الذي يطعن بالسر فيما يحدق اليه الاتراك كما يحدق مؤجر الحلبة لصراع الوحوش فيها ؟ هناك خزان من الحكمة فينا يكفي لايجاد نظام يهودي جديد ، كبير وبسيط وتماما مثل القديم ، جمهورية تتوفر فيها المساواة في الحماية ، المساواة التي تلمع كنجمة في جبين مجتمعنا القديم ونعطيها ما هو اكثر من لمعان الحرية الغربية ،ناهيك عن التعسف الشرقي . وعند ذلك ، سيكون لجنسنا مركز عضوي،قلب ودماغ ليحرس ويقود وينفذ .. سوف يحصل اليهودي المضطهد عند ذاك على دفاع في محكمة الشعوب ، كالانجليزي المضطهد والاميركي المضطهد .. وسوف يكسب العالم اسرائيل من جديد كما تكسباسرائيل بدورها .. لان مجتمعنا سيكون مجتمعا في طليعة الشرق ، يحمل ثقافة واحاسيس كل من الامم الكبيرة في ذروة ازدهارها .. وسوف تكون ارضنا مثل محطة للحياة المليئة بالعداء . ارضا حيادية ، هيفيالشرق مثل بلجيكا للغرب .. صعوبات ؟ اعرف ان هناك صعوبات ، ولكن دع روح التوثب تتحرك في الكبار من شعبنا ، وسيكون العمل قد بدأ .

وتتجسد الدعوة الصهيونية تفصيلا في كلمات مردخاي هذه، انه يؤكد على النظرة العنصرية لليهود كجنس متفوق وعبقري ويدعو الى تجسيد الدين اليهودي كقومية ، والى تجنيد كل الاغنياء والمثقفين والفنانين لعملية شراء الارض من العرب (محتليها !) فالاغنياءيدفعون والادباء والفنانون والسياسيون يدعون ويخططون ويقنعون . ومن جهة اخرى تؤلب الرواية اوروبا الغربية المسيحية على فلسطين والاتراك في محاولة لاستدرار العطف على النموذج الغربي الذي يمكن انتحققه دولة اسرائيل في قلب الشرق المتخلف ، تحقيق الحرية الغربيةوخلق راس جسر غربي في قلب الشرق العربي ، بحيث تصبح اسرائيل في الشرق مثل بلجيكا للغرب .

لقد اسهمت رواية « دانييل ديروندا »في القضاء على تيار الاندماج المعارض للدعوة الصهيونية والنظرة الصهيونية للدين اليهودي كقومية. وقد ترجمت هذه الرواية الى العبرية والى اليديش وطبعت عشرات الطبعات ونشرت في كل اوروبا ودخلت كل بيت يهودي وصارت انجيلا صهيونيا جديدا .

ولعل اكبر دور قامت به الرواية الصهيونية يتجسد في رواية هرتزل « الارض القديمة الجديدة » التي حولته من فنان الى سياسي وقد اعترف هرتزل بان هدف روايته « لم يكن فنيا ، ولكنه كان هدفا دعائيا » . ولهذا فقد استثمرت هذه الرواية الصهيونية منذ صدورها حتى الستينات وقد اصدرت اسرائيل طبعة المانية من الرواية في عام ١٩٦٢ ، وزودتها بمائتي صورة ورسم عن اسرائيل على الورق المصقول الملون لنشرات الدعايةوالاعلام وقد ادرجت اسرائيل الى جانب نص الرواية والصور الاسرائيلية بيانات احصائية عنتطور حركة التصدير وتزايد السكان والانتاج والجيش ومجلسالنواب والصور الملونة للمدن ، وتجسد رواية هرتزل الاسلوب الصهيوني الاعلامي في تجاهل الشعب العربي صاحب الارض الفلسطينية وتتعمد الرواية كما تفعل سائر الروايات الصهيونية التالية لها ـ ان ترتكز على الارض الخالية الجرداء التي تنتظر اليهود سكانها الاصليين ليصلحوها ويعمروها وينقلوا اليها الحضارة الغربية والفكر الغربي ، فهكذا كانت رواية هرتزل « الارض القديمة الجديدة » تخاطب العقل الاوروبي وتؤثر عليه وتحاول الظهور بانها تعمل لحسابه ولغرس الوجود الغربي في الشرق الاوسط . ومن الغريب ان هرتزل قد خطط في روايته ايضا للدور الحضاري (الاستعماري) الذي ستلعبه اسرائيل في افريقيا واسيا .

وقد لخص غسان كنفاني وظيفة الرواية الصهيونية واسلوبها بعد مطالعته لعشرات الروايات الصهيونية مثل « لصوص في الليل » لارثر كوستلر ، و « نجمة في الريح » لروبرت ناثان ،و«غبار» ليائيل ديان، (في اعقاب فلق عملاق) لندبر كمان ، « الاغراء الاخير »لجوزيف فيرتيل ، « الانتصار الاكبر » للسترغورن .. وغيرها ـ ان هذه الروايات الصهيونية محشوة بالاكاذيب عن العرب وعن فلسطينوتتجاهل وجودهم وتبالغ في نفس الوقت في تصوير وحشية النازي في تعذيب اليهود لتصل الى ضرورة قيام الوطن القومي اليهودي وعدم اندماج اليهودي في الشعوب . فالبطل في الرواية الصهيونية غالبا ما يكون قادما من اوروبا بعد عناء طويل واضطهاد مبالغ فيه ، وهنا تذكر الرواية بالتفصيل وقائع بشعة للتعذيب النازي ، لذا فقد جاء الى فلسطين حالما بجنته الارضية . وهنا يقع البطل اليهودي فيغرام شخص غير يهودي وغير عربي ايضا ليروي له مخططات الصهيونية ومبرراتها مع استثمار عقدة العذاب الصهيوني . اما العرب فهم في نظر الرواية الصهيونية متخلفون ومتوحشون وجهلة ومخربون للارض ـ الفلسطينية . ومن خلال اظهار عذاب اليهودي واضطهاده تبرر الرواية احتقاره للشعوب التي ينتمي اليها ورفضه الاندماج والتعايش معها . وتخلص الرواية الصهيونية الى تصوير البطل اليهودي المعذب في صورة البطل القوي القادر على تخطي كل عذاباته وتحطيم اعدائه واقامة جنته الارضية في فلسطين . (في الادب الصهيوني في ص ٩٥ و٩٦ و٩٧) .

اما الروايات التي تعترف بوجود الصراع العربي الاسرائيلي فانها تواصل ايضا تصوير البطل اليهودي فيشكل المحارب الذي لا يظهر والذي يستطيع مثلا ان يفرق الدبابات السورية بطلقات مسدس وان يستولي على المدن العربيةفيفلسطين بالاشتراك مع عدد قليل منزملائه. مثل رواية افيجدور حميري « الجنون الكبير » عن حرب ١٩٤٨ او رواية « الينبوع » لجيمس ميشنر التي تروي كيف استطاعت حفنة من الصبية اليهود الاستيلاء على مدينة صفد الفلسطينيةالعربية. وهكذا تمضي الرواية الصهيونية في تضخيم اكذوبة المحارب اليهودي الذي لا يقهر ، وهي اذا قدمت العرب في الرواية فهم غير محاربين وتسقط قنابلهم على الاطفال او تحاول الرواية الصهيونية تقديم صورة انسانية لليهودي في مواجهته مع العربي مثلما تتحدث رواية « نجمة في الريح » لروبرت ناثان عن انه « اثناء غزف قطعة لتشايكوفسكي تقصف الطائرات العربية تل ابيب ، الا ان احدا من الحضور لم يهتم او يتحرك فبوسعهمان يموتوا في اي وقت ولكن الجمال شيء نادر .

* * *

وعندما تتعرض الرواية الصهيونية الحديثة للعرب نتيجة لواقع الحروب المستمرة فهي تصورهم بصورة كاذبة وتلقي عليهم كل اللوم فيما حاق بفلسطين . اضف الى ذلك حملة من الاكاذيب القذرة عن تخلف العرب وضعف اخلاقياتهم وجبنهم كما فعلت روايات « لصوص في الليل » و« نجمة في الريح » و« اكسودس » ايضا . ان الانسان العربي ليتمزق الما وغضبا كلما طالع الاكاذيب في الروايات الصهيونية عن العرب وحياتهم وضعفهم ، ولكن التمزق يزيد عندما تفتقد قضية الصراع العربي الاسرائيلي وجودها في الروايات العربية ـ فيما عدا روايات غسان كنفاني وقلة من الروايات العربية ـ بينما يدفع الصهيونية بالقضية عبر رواياتهم جميعا الى العالم باسره لغسل مخه وتهيئته للعدوان الاسرائيلي المتكرر وحشو دماغ العالمبالاكاذيب الصهيونية التي تمجد الصهيوني وتحقر من شان العربي وتكذبكذبا فاضحا في سرد الحقائق التاريخية وتزييفها . ولن تجد فيالرواية الصهيونية انصافا لرجل عربي الا اذا كان هذا الرجل مصنوعا ومزيفا

لخدمة الاعلام الصهيوني ، فالعربي الطيب في الرواية العنصرية هو الذي يقتنع بدور الصهيونية كمخلص له (؟!) وللعالم من التخلف والاضطهاد وبالاضافة الى هذا ترسم الرواية صورة خيالية لنجاح الصهيونية في تحويل الارض العربية الجرداء الى واحات ومزارع ومساكن ومصانع ، ان الرواية الصهيونية تفعل هذا بهدفين : اثارة الكراهية العنصرية لليهود ضد العرب ، وخداع الراي العام العالمي والغربي على وجه الخصوص بتقديم صورة اسرائيل كنموذج غربي متقدم على الصحراء العربية ! وكما تحمل الرواية الصهيونية العرب وزر العذاب الهتلري النازي ، كذلك تذهب الخديعة بالرواية الصهيونية الى حد تصوير الصراع على الجبهة المصرية الصهيونية كصورة مكررة ومعادة لتسخير المصريين لليهود في بناء الاهرام حتى لتقول رواية « لستر جورن » او «الومضة الكبرى » : (اليهود ضد المصريين ، هذه مسألة تاريخية) ، في الصيغة التوراتية : اليهود المستعبدون يبنون الاهرام تحت سياط المصريين (!) موسى يهرب شعبه الى ارض الميعاد. صيغة اليوم : موسى يدفع المصريين نحو قناة السويس ، بعد ثلاثة الاف سنة من دوران عجلة التاريخ ، هل يستطيع المصريون ان يحملوا السوط مرة اخرى ؟ « الى هذا الحد تصل الخديعة في الرواية الصهيونية : فالعدوان الصهيوني التوسعي المتكرر يتوارى في صورة صراع تاريخي قديم كاذب بين المصريين واليهود ؟!

* * *

وهكذا فالرواية الاسرائيلية في مهمتها الدعائية الاعلامية تتوجه الى الراي العام العالمي لتجنيده وتهيئته للعدوان الصهيوني ولاعمال التوسع الاسرائيلية كما تهدف الى جذب اليهودي العالمي المقيم خارج اسرائيل لتمويل مشروعات التوسع والعدوان الاسرائيلية ولدفعهم الى الهجرة لاسرائيل حجر الزاوية في الكيان الاسرائيلي التوسعي . وتهتم الرواية الاسرائيلية ايضا بتكوين وجدان المحارب اليهودي والشعب داخل اسرائيل وشحنه بحب التراث اليهودي وربطه بالقومية اليهودية المختلفة وبارض اسرائيل ومنجزاتها من الكيبوتزات الى المفاعل الذرية من اجل خلق مواطن اسرائيلي تطمس لديه حقائق التفتت الاسرائيلي وتغفل ايضا وجود العرب كاصحاب حق وارض وفي نفس الوقت تصب الحقد الاسرائيلي عليهم . واخيرا تهدف الرواية الصهيونية ، كغيرها من فروع الادب الصهيوني ، الى خلق ادب وفن اسرائيلي له خصائص المجتمع الاسرائيلي المزق والذي تهدف الرواية الاسرائيلية الى تجميعه وتذويبه في بوتقة المحارب الاسرائيلي الجديد الذي يجمع بين الزراعة والصناعة والعلم والحرب العدوانية . فترمي الرواية الاسرائيلية الجديدة الى خلق رواية اسرائيلية تنبع من ارض اسرائيل وليس من خارجها ، والى خلق وجدان اسرائيلي موحد يتخطى الكيان المصطنع والفوارق الحقيقية في اللغة والوطن والقومية والارض . ومع ان الرواية الاسرائيلية الحديثة المكتوبة من داخل اسرائيل بعد قيامها وانتصاراتها الحربية العدوانية ، مع ان هذه الرواية لم تتخل عن ذكر مشاهد التعذيب القديمة ووقائع الاضطهاد اليهودي على ايدي رجال هتلر لربط الاجيال الجديدة من الاسرائيليين بآلام آبائهم واجدادهم ، فقد اصبح عليها ان تلائم بين شخصية البطل الصهيوني الجديد وواجباته الجديدة في حماية الارض والكيان بقوة السلاح . او كما كتب معين بسيسو :« ان مشكلة البطل الاسرائيلي المعاصر ـ البطل من مواليد ١٩٤٨ ـ بالنسبة للرواية الاسرائيلية الجديدة هو رأس السونكي ، فامتيازه على آبائه ليس بشهادة الميلاد ، في تل ابيب او بئر السبع او نانانيا ، او اية مستعمرة من مستعمرات الكيبوتز وليس امتيازه ايضا على اولئك الاباء ، هو انه قد رضع مباشرة من ثدي الارض ، بل لانه ابن الجيل الاسرائيلي الثالث الذي تقع على كتفيه مسئولية الحفاظ على اسرائيل الدولة ، التي حلم بها الرواد الاوائل من ابناء الجيل الاول من سكان فلسطين ، وجاء الجيل الثاني عبر البحار ليستبدل الحلم باصبع الديناميت ثم ليجعل الحلم بعد ذلك يسير على قدميه في شكل جواز السفر وقطعة الارض والبيت ، ثم في شكل الحدود القائمة بين اسرائيل الدولة وبين كل من الاردن وسوريا ولبنان ومصر . هذا هو الجيل الثالث الذي تتجه اليه القصة والرواية الاسرائيلية المعاصرة الان » . (نماذج من الرواية الاسرائيلية المعاصرة ـ معين بسيسو ـ دار الكاتب العربي ١٩٧٠ ـ ص ٢٥ و٢٦) .

هذا الجيل المعاصر الذي تتجه اليه الرواية الاسرائيلية الجديدة، هو جيل الدم ، لا الفكر والحلم ، جيل يكرس كل قواه وسلاحه للدفاع عن اسرائيل الحقيقة الموجودة والحلم المستجد .

ومن هنا تركز الرواية الصهيونية كل براعتها وخدعتها لشحن الجيل المحارب بحكايات التعذيب النازي التي لم تستغن عنها الرواية الاسرائيلية الحديثة ، وللمرور منه الى نموذج الكيبوتز الاسرائيلي والاسرائيلي المحارب والمنتصر . هذا ما فعلته الروائية يائيل ديان ابنة الجنرال موشي ديان احد قادة آلة الحرب الاسرائيلية والنموذج الاسرائيلي الذي يجمع بين العمالة للامبريالية الاميركية والعنصرية الاسرائيلية .

فقد استهلت يائيل ديان روايتها « وندان للموت » بذكر واقعة اقتحام ضابط نازي لمنزل اليهودي البولندي « حاييم كالنسكي » ، والذي صار الان اسرائيليا بعد نزوحه الى فلسطين . وتروي الرواية بالتفصيل وكمدخل لاحداث الرواية ـ كيف اجبر الضابط النازي الاب حاييم كالنسكي على التخلي عن احد ولديه للاعدام . واذ يتبقى الابن الاخر دانيال كالنسكي بطل رواية يائيل ديان ، فانه يتبقى للتضحية والموت ايضا ، فهو يهاجر متعرضا للاهوال ثم يحارب حروب اسرائيل العدوانية كقدر تحتمه عليه يهوديته وولاؤه لاسرائيل ومن خلال الرجعات الى الماضي يستعرض دانيال كالنسكي احداث حياته ابتداء من واقعة اعدام اخيه على ايدي النازيين الى رحلته المهاجرة الى حياة المستعمرات الاسرائيلية، وفي الكيبوتز المستعمرة الجديدة يجد البطل الاسرائيلي الجديد حياته الجديدة واسرته الجديدة وسط اطفال الكيبوتز ورجاله انه يستبدل بحياته الجديدة حياة العذاب القديمة في ظل النازي ، انه يريد ان يمحو هذه الاحداث من ذاكرته ولكنهم مصممون على ان يذكروه بعذابه القديم « وحتى حينما ضبط دانيال متلبسا بممارسة العادة السرية خلف حائط المدرسة .. كتبت مدرسته في ملفه الخاص ، ان هذا راجع الى ماضي طفولته وليس الى عمره .. وقد بلغ الرابعة عشرة ..! (نماذج من الرواية الاسرائيلية المعاصرة ـ معين بسيسو ـ ص ٤٧) .

وتتجسد الوظيفة الاعلامية للرواية الاسرائيلية الجديدة في تعظيم نموذج البطل الاسرائيلي المحارب المنتمي الى جيل الكيبوتز الاسرائيلي الذي انسلخ تماما من ماضيه واصبح قطعة من جهاز آلة الحرب الاسرائيلية . وعندما يكتب دانيال الى والده حاييم كالنسكي في بولندا داعيا اياه الى وطنه الجديد يخبره بان حياة الكيبوتز هي كل حياته وانه اصبح ضابط مظلات يعمل لحساب جيش الدفاع الاسرائيلي ، وهنا تفخر الرواية على لسان الاب بالنموذج الجديد للبطل الاسرائيلي المحارب ، فيقول له الاب بفخر ان اي يهودي لم يرتفع اكثر من سطح متجر ثياب مكون من ثلاثة طوابق بينما هو يطير في السماء ليسقط على سيناء .

هذه هي النغمة الاعلامية الجديدة للرواية الصهيونية دفع هيستيرية الحرب وتعظيم اسطورة البطل الاسرائيلي المحارب المنتصر دائما . وتمجد الرواية اذن اسلوب البطل الجديد باستخدام القتل والدم والغزو والتوسع . وبينما تجاهلت الروايات الصهيونية الاولى الوجود العربي، لم تستطع الروايات الاسرائيلية تجاهله بحكم الحروب الاسرائيلية والعدوان الاسرائيلي المتكرر ، ان ـ العربي موجود في الرواية الاسرائيلية كمادة جديدة للحقد وعنصر للقتل والانتقام . ومن ثم تضخم

الروايـة الاسرائيلية الجديدة من قدرة البطل الصهيوني الجديد الذي لا يقهـر على ابادة العربي وقتله وعلى تنمية روح الحقد والكراهيـة ضـد العرب عنـد ذكـر كل قتيل اسرائيلي . تلـك هي الوظيفـة الاعلاميـة الجديدة للروايـة الاسرائيلية الحديثة : تدشين سياسـة الحرب العدوانيـة التوسعيـة ، وخلق نموذج البطل الاسرائيلي المحارب المنتصر القـادم من الكيبوتز محترف القتل وسفاح الدم .

* * *

وامام حوادث اختطاف رجل المقاومة الفلسطينية لطائرات شركة العال الاسرائيلية تستغل الرواية الصهيونية هـذه الحوادث وتستثمرها للتاثيـر في الاجيال الجديدة من الاسرائيليين ، وهي تفعل هذا لزيادة كمية الحقد لدى الاطفال والصبية الاسرائيليين كمـا تفعل مع الكبـار لتشويه وجه النضال الفلسطيني وملء الاجيال الجديدة بالزهو الفارغ والقدرةعلى القضاء على ايـة مقاومة عربيـة مثلمـا فعلته روايـة « العالم السحري لسارة وبنجي » للروائية الاسرائيلية « روث رازيل». فسـارة وبنجي طفـلان لطيار اسرائيلي في شركـة العال الاسرائيليـة ادى مهمته كطيار حربي لحساب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .وعندما جاء دوره لممارسـة الطيـران المدني اصطحب ابنته وابنه ليتعرف الى العالـم من خلال قيادة الاب الطيار ، ولكـن يحدث ان يوجه احدرجال المقاومة العرب المسدس الى رأس الطفلين (كذا ؟!) ويطلب منهمـا التوجه الى كابينة القيادة لاجبار الطيار على تحويل الطائرة الى هافانا، ويتظاهـر الطفـلان بالامتثال لاوامر مختطف الطائرة ولكنهما باشارةشفرية متفق عليهـا تضرب الطفلة سارة باحدى حركات مصارعة الجيدو ـ رجل المقاومة فتوقعه ، وهنا يتدخل طاقم الطائرة للقضاء على محاولـة الاختطاف . وتمثل هذه الروايـة تطورا جديدا في الرواية الاسرائيلية التي تواكب اعلاميـا كل تطور جديد في قضية الصراع العربـي الاسرائيلي . فمع انتشار حوادث اختطاف الطائرات وتاثيرها ـ سلبـا او ايجابا ـ في الرأي العام العالمي وفي اليهـود خارج اسرائيـل وداخلها ، اخذت الروايـة الصهيونية دورها ، فهي بالنسبة للرأيالعام العالمي واليهود بوجه عام تصور رجل المقاومة العربي في صورة مـن يوجه اعمال الارهاب الى الاطفال الاسرائيليين وهي بالنسبة للاسرائيليين وللاجيال الجديدة منهم على وجه الخصوص تصور الامر بمثابة مغامرة جديدة ينهار فيهـا العربي وينعقـد لواء النصر ببساطـة للاسرائيلي . فوجهـة النظـر الاعلاميـة العنصريـة التي تبثهـا الروايـة الصهيونية تصور الاسرائيلي في صورة البطل الذي لا يقهر .

وهكذا فالروايـة الصهيونية مهتمة اساسا بوظيفتهـا الاعلاميـة والدعائيـة في تشويه الحقيقـة لصالح الصهيونية ، وفي غسل مـخ العالم وخلق وتشكيـل الوجدان الاسرائيلي خلقـا عنصريـا وعدوانيـا، وهي في كل هـذا انمـا تتطابق تمامـا مع اهداف السياسة الاسرائيلية والاعلام الاسرائيلـي .

القاهرة — احمد محمد عطية

رواية لهنري باربوس

ترجمة جورج طرابيشي

يعتبر كولن ولسن بطل رواية « الجحيم » لهنري باربوس مثـــلا على اللامنتمي النموذجي فـي الادب الحديث ، ويروى ان هذا البطل يلجأ الى غرفتـه في الفنـــدق ليغلق بابها ويعيش ليرقب الآخرين من ثقب الباب ، وتنطلق أفكاره بصورة غامضة عن حب قديـم وما فيه من ملاذ جسدية ، الى الموت « وهو أهم الافكار اطلاقا »،ويراقب من مكانه الغرفة التالية منثقب في الجدار ليرى امراة تتعرى فتلهب جسمه بسيـاط الشهـــوة . انه يرى اكثر واعمق مما يجب ، وهـــولا يرى الا الفوضى » .

والحق ان باربوس يريد ان يقنعنا بأن اللامنتميانسان لا يستطيع الحياة في عالم البرجوازيين المريـح المنعزل أو قبـــول ما يراه ويلمسه فـي الواقع ، لانالبرجوازي يرى العالم مكانا منظمـــا تنظيما جوهريا وتمنعه دقائق حياته اليومية من الاهتمام بعنصر القلقالمرعب الذي يحيط به . أما اللامنتمي فانه لا يرىالعالم معقولا ولا منظما ، ويقذف بمعانيه الفوضوية في وجهدعة البرجوازي وهو يحسّ الكآبة العميقة ويشعر بأن الحقيقة يجب ان تقال مهما كلف الامر ، والا فلن يكونالاصلاح ممكنا . . .

منشورات دار الآداب — الثمن ٤٥٠ قرشا